صغيرة أورشليم

من اورشليم هذه الصغيرة القمر
شقراء خمس مثلما اجنة الزهر
معقودة ضفائرا ، ومثلما نسائم السحر ...
من أورشليم هذه الصغيرة القمر ..

*

في شفتي لخدها حنين
يا عب نيسان اشرب المطر
في خاطري ان الثم القمر
ان احضن الجدائل المذهبه
كم بينها وبين طفلتي شبه ..

*

كانت صغيرة : لعل خمسا ، ربما تزيد اشهرا
لوزية العيون
كان في اهدابها يرقب مبحرا ..
يطوي المدى بلمحة شراعه
وتقطف النجوم غضبة ذراعه
يهتف بالمراكب : اغرقي ..
هنا خلاص زورقي !

*

ابوك ، يا طفلة ، يا بحرية العيون
اغمد خنجرا في صدر طفلتي
من قبل ان ولدت
شد اخوتي
لغصن زيتون بباب حقلنا

اواه ، يا جيزيل .. اخوتي الصغار
ابوك اوقد النار مدى ثيابهم وسار
كأنه لم يقترف اثما .. ولم تقرب يداه عار !!

*

في شفتي لخدها حنين
لما يزل يورق كاللهيب
هيفاء عينها ! يا طفلي الحبيب
لو لم تكن من أورشليم ما تركتها تمر ..
دون قبلة على الجبين
لكنما ...
لكنما ، يا لوعة السنين

*

جيزيل يا هيفاء ، كم اود ان اقول :
لا ترجعي لاورشليم ..
كم اود أن اقول ..
ظلي هنا ، لا ترجعي ،
ففي غد ستسمع الطبول
وقدسنا ، من غير مبكى ، في غد يعود
سنردم المبكى على اليهود
لا ترجعي صغيرة القمر
فربما يخوننا الزناد ، ربما نقتل ابرياء
أطفال خمس ابرياء
لا ترجعي صغيرة القمر
غيبة طفلتي هيفاء لن تطول !

دمشق — فايز ملص

نهايتين : اما ان القطار المقبل قد دهم بطل قصتنا وهو في غمرة فرحه بالقطعة الفضية التي عثر عليها اخيرا ، واما انه تنبه للخطر في اللحظة الاخيرة وانقذ نفسه من الهلاك .

ان يوسف ادريس لايخبرنا بما حدث ، ويترك للمتشائمين اختيار النهاية الاولى وللمتفائلين اختيار الثانية . والى القارىء اخر سطور تلك القصة الفريدة التي تبحث عن نهاية .. الى القارىء مشاعر بطلنا الصبي بعد ان عثر على القطعة الفضية التي كان قد فقدها بجانب شريط القطار :

« .. لم يعد يريد شيئا ، لا اب ، ولا مدرسة ولا جدة ولا حتى يوم اخر يستيقظ من اجله وينام في اخره .. لم يعد يريد الا ان يظل يحس انها عادت اليه وانه عاد اليها ، وانها ستبقى معه وسيبقى معها دون ان يقطع هذا البقاء حادث او ضياع .

وانى له ان يدرك وهو على هذه الحال ، ان الثالثة كانت قد فاتت من زمن ، والرابعة حلت ، وقطارها جاء وقام من محطة البندر ، وتعدى السيمافور وانه في تلك اللحظة بالذات خلفه يصفر له صفيرا متقطعا مستفيثا يامره به ان يبتعد . » (ص ٧٦ ، ص ٧٧)

فاذا ابتسم يوسف ادريس وهو يقرأ هذا التفسير ، مؤكدا انه كان يقصد ان القطار سيدهمه ، منطقيا ، اذا اختار هذه النهاية ، بهذه الطريقة المجحفة ، وقضى على جمال القصة التي تنتهي بلا نهاية ، فانني اسحب اعجابي بالقصة ! مارايه ؟

القاهرة — محمد عبد الله الشفقي